# الكتابات اللسانية العربية الحديثة بين واقع التأييد والرفض بالمناهج الغربية

# Modern Arabic linguistic writings between the reality of support and rejection in Western approaches

**نسيمة زيداني**

جامعة الحاج لخضر باتنة1، nassima.zidani@univ-batna.dz

**د/ توفيق بن خميس**

جامعة الحاج لخضر باتنة1، toufik.benkhmis@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2020/12/03 تاريخ القبول: 2020/12/05 تاريخ النشر: 2021/01/01

**ملخص:** إن اللغة من أهم القضايا التي شغلت العلماء، فأرسوا قواعد تحكمها، حتى صارت متداولة بين الناس وفي الكتب إلى أن ظهر ت اللسانيات التي تعتمد على مناهج جديدة فبدأت الكتابات العربية الحديثة حولها ، وهذا دفعنا إلى محاولة التعرف على التصنيفات التي وضعت لهذه الكتابات والدافع وراء كل تصنيف، وأيها يمكن الأخذ بها، واعتمدنا في ذلك المنهج الوصفي، الذي سمح لنا القول بوجود ثلاثة أنواع من الكتابات اللسانية الحديثة المتولدة نتيجة الاختلافات الفكرية والمرجعية، إذ لا يمكن الاعتماد على نوع معين بل يجب توظيف كل منها بحسب ما يلائمها.

**كلمات مفتاحية:** اللسانيات،المنهج، اللسانيات التمهيدية، اللسانيات العربية.

**Abstract:**

Language is one of the most important issues that occupied scholars, and they established rules governing it, until it became circulated among people and in books until linguistics that relied on new approaches appeared and modern Arabic writings began around it, and this prompted us to try to identify the classifications that were placed for these writings and the motive behind all Classification, and which ones can be adopted, and we adopted in that descriptive approach, which allowed us to say that there are three types of modern linguistic writings generated as a result of intellectual and reference differences, as it is not possible to rely on a specific type, but rather must employ each of them according to what suits them.

**Keywords:** linguistics; curriculum; introductory linguistics; Arabic linguistics.

لا يخفى على أي كان أن العلوم والمعارف غير ثابت، فهي تتغير بمرور الزمن وتتراكم لتحل محلها أفكار جديدة لكن دون أن تمحى القديمة فهي البداية لذلك الجديد من الأفكار، وحتى تصبح العلوم الوليدة متداولة بين المجتمعات وغير حبيسة مبتكرها كان لابد من طريقة تنساب بها للأذهان فبرمجت الكتابة لأداء الغرض المطلوب؛ فبفضلها يتم التعريف بما هو جديد وإزالة الضبابية عنه. واللغة من الغايات والأساس الذي اهتمت به العلوم قديما فخصصت لها كتابات كثيرة تفسرها وتقعدها وتبسطها لغير أهلها فكان ذويها متفقون على كيفية معالجتها والأخذ بها، بل وأصبحت لها علم مستقل بذاته في عصرنا الحالي وبالضبط في القرن التاسع عشر ميلادي (19 م) مع العالم دوسوسير ومن جاء بعده فتغيرت الأوضاع وانقلبت الموازين.

حيث بدأ الاهتمام الكبير بعلم اللسانيات « الذي يبحث في اللغة، ويتخذها موضوعا له »[1] نتيجة اعتماده على مناهج تسير تلك الدراسات الغربية الأمر الذي عده اللغويين العرب شيئا جديدا فهي « وسيلة من وسائل تصور الموضوع »[2] والتي لم تتداول سابقا، فراحوا ينقبون في اللسانيات الواردة إلينا ؛ من أجل فك أسرارها وإعطائها هوية في المجتمع العربي ويدونون ما توصلوا إليه كل بحسب مرجعيته وقناعته فكنيت كتاباتهم بالكتابات اللسانية العربية الحديثة والتي عرفت تصادمات بين أصحابها من حيث الفكر وزاوية النظر إليها فانقسموا بذلك إلى طوائف أو اتجاهات ثلاث.

اتجاه يدعم الفكر العربي القديم ويرفض غيره وآخر يناقضه ويود الخوض في غمار ما هو حديث وغريب للاستكشاف والتطلع فهما بذلك قطبان متنافران « سلفي يحاول أن يعيد إنتاج الموروث الحضاري العربي الإسلامي بصيغته القديمة نفسها، أو بصيغة معدلة تعديلا جزئيا، وحداثي يحاول أن يتبنى المسار الحضاري الغربي بكل تفصيلاته، ويعلن القطيعة مع القطب الأول »[3]، واتجاه ثالث يجمع بين الرأيين بحيث لا يمكن الاعتماد على الأول فقط فيصبح المجتمع حبيس الزمن ولا الأخذ بما جاءت به اللسانيات الغربية

وحدها فتتشكل لدينا ثقافة وهوية غربية في مجتمع عربي ويؤكد هذا تمام حسان في قوله: « وتشبعت المسالك أمام الشعب بعد أن تثاءب وتمطى ونفض عن نفسه غبار الموت، فوجد أمامه طريقا في الماضي يقوده إلى التراث العربي الخصب، ورأى أنه لو بعث هذا التراث وأحياه لكان دافعا لعزة جديدة لا تقل روعة عن التأريخ العربي نفسه، ووجد أمامه طريقا في المستقبل معالمه ما في أيدي الأمم من علوم ومعارف... ثم رأى أنه لو سلك الطريق الأول لا تقطع به التاريخ عن الحياة، ولو سلك الثاني فحسب لا تقطعت به الحياة عن التاريخ ففضل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحي إليه بالاعتزاز ونصيب من الثقافة المعاصرة بمنحه العزة »[4].

ومما سبق نجد أن لكل اتجاه نوع من الكتابة اللسانية العربية وهي بذلك ثلاثة أنواع:[5]

- الكتابات اللسانية التمهيدية.
- الكتابات اللسانية التراثية.
- اللسانيات العربية.

فالأولى استجمعت واستوطنت اهتمامها على ما وفد إلينا من لسانيات غربية وكان الهدف منها محاولة تقديم النظريات والمفاهيم الخاصة بذلك العلم وأهم أعلامه ومناهجه للقارئ وتذليل الصعوبات التي قد تواجهه، وكان ذلك عن طريق الترجمة والتأليف.

ففي بادئ الأمر اضطر اللغويون العرب من الكتابة بالترجمة فهي الحل الوحيد لنشر اللسانيات العامة الحديثة بالمفاهيم السليمة[6] فتمت ترجمة العديد من الكتب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- كتاب "مدخل لفهم اللسانيات" لروبير نارتن، ترجمة: عبد القادر المهيري.

- كتاب " النظريات اللسانية الكبرى: من النحو المقارن إلى الذرائعية" لماري أن بافو وجورج إليا سرفاتي، ترجمة: محمد الراضي.
- كتاب " معجم اللسانيات" لجورج مونان، ترجمة: جمال الحضري.
- كتاب "نظرية تشومسكي اللغوية" لجون لوينز، ترجمة: حلمي خليل.
- كتاب "اللسانيات" لجان بيرد، ترجمة الحواس مسعود ومفتاح بن عروس.
- كتاب "علم اللغة العام" لفردينان دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز.

وغيرها من الكتابات التي اعتمدت الترجمة، وبفضل هذا استوعب اللغويون العرب تلك اللسانيات الغربية مما سمح لهم بالانتقال إلى المرحلة الثانية مرحلة التأليف التي تعتمد على الفهم الجيد لما أنجزه الغربيون، ثم إعادة قولبته عربيا [7] وبحسب الخلفية التي أولاها المؤلف تركيزه واهتمامه. دون أن يُذكَر المرجع الذي استقى منه المؤلف المعلومات والأفكار[8]، ومن المؤلفات اللسانية العربية الحديثة ما يلي:

- "علم اللغة" لعلي عبد الواحد الوافي.
- "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" محمود السعران.
- "أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة" لنايف خرما.
- "في علم اللغة العام" لعبد الصبور شاهين.
- "الألسنية ( علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام" لميشال زكريا.
- "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث فيه" لرمضان عبد التواب.
- "مدخل إلى علم اللغة" لمحمود فهمي حجازي.
- والمخطط الآتي يوضح ما قلناه حول الكتابة التمهيدية :

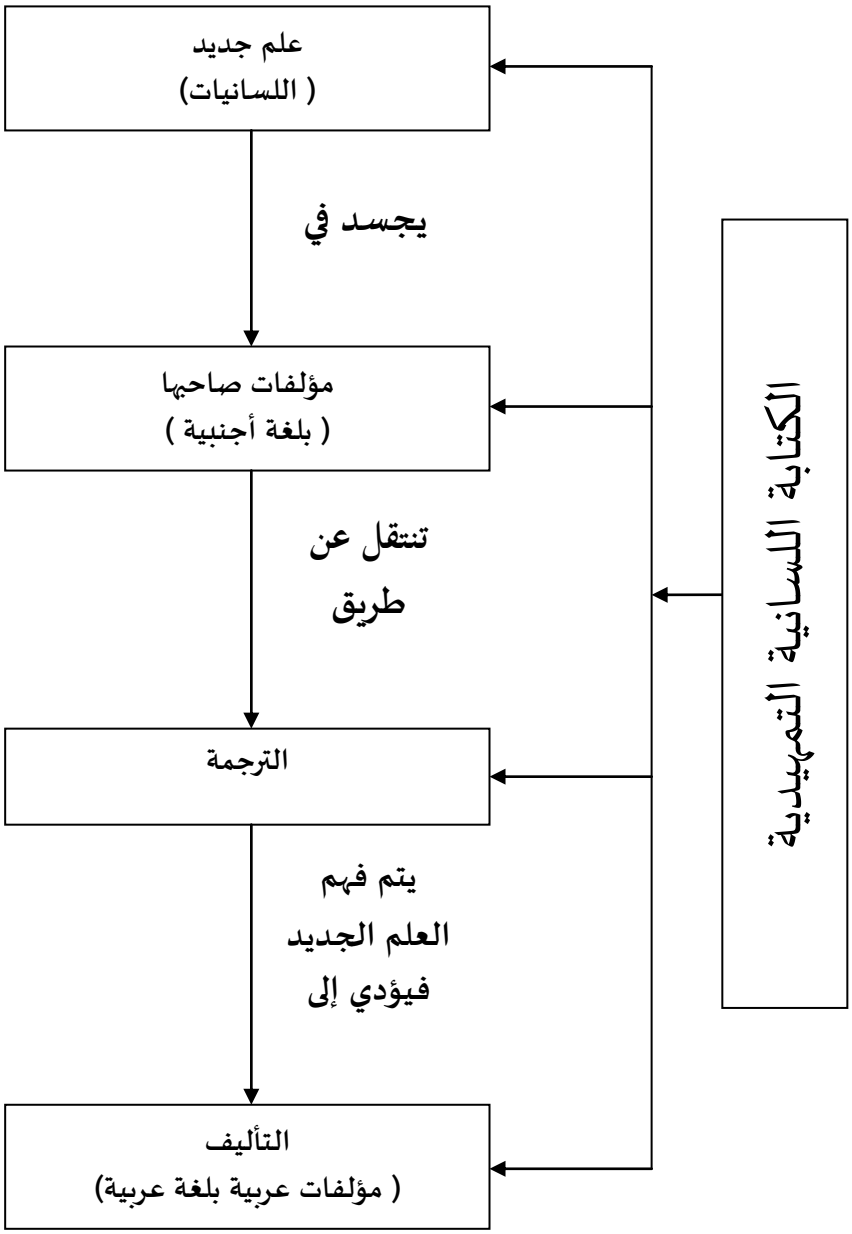


مخطط يشرح الكتابة اللسانية التمهيدية

في حين أن لسانيات التراث شملت الكتابات اللسانية العربية التي تهتم بما هو قديم من منجزات عربية فقط دون إعالة أي اهتمام بالنظريات الغربية ومناهجها بل وحتى أن أصحاب هذا الاتجاه حاولوا إجراء مقارنات بين هذا وذاك؛ من أجل إبراز حنكة لغويهم العرب التي جعلتهم ينشؤون قواعد وأفكار سايرت عصرهم ولا تزال تحمل في مضمونها ما توصل إليه المتأخرون، فساقوا منهجا سموه منهج القراءة أو إعادة القراءة « فالعرب بحكم مميزات حضارتهم وبحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات قد أفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب بل قادهم النظر إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخرا، بفضل ازدهار علوم اللسان مطلع القرن العشرين »[9].

فهذا النوع من الكتابات يرمي إلى تأصيل التراث و إجراء مقارنات بينه واللسانيات الغربية للوصول إلى غاية مفادها أن جل الأفكار التي تحويها تلك النظريات هي مجرد معلومات سابقة الوجود و اكتست حلة جديدة قائمة على مصطلحات ومناهج أكسبتها بريقا، فقد جاء «كتاب "الألسنية الديكارتية" ليكون مثالا حيا على اهتمام العلماء اللغويين المحدثين بضرورة العودة إلى التراث اللغوي، من أجل إظهار مواضع التقارب بين بعض جوانبه المهملة وبين المفاهيم اللغوية الحديثة. لقد استطاع تشومسكي في هذا الكتاب أن يقف على عديد من العناصر التي تمثل التقاء واتفاقا بين معطيات نظريته التوليدية التحويلية وبين القواعد التي أرساها ديكارت »[10]، والمؤلفات التي تتبع هذا المنهج منها:[11]

- محمد أحمد أبو الفرج " المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث.
- حسام البهنساوي " التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث".
- هيام كريدية " مكانة البحث اللغوي العربي القديم من علم اللغة الحديث".
- صبحي الصالح " أصول الألسنية عند النحاة العرب".

- نهاد المرسي " نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث".
- راجي رموني "مصطلح التعليق مفهومه وأثره في الدراسات اللغوية".
- عبلة الراجحي " النحو العربي والدرس الحديث".
- عبد السلام المسدي " التفكير اللساني في الحضارة العربية".
- خليل عمايرة " البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي"
- عبده الراجحي " النحو العربي واللسانيات المعاصرة".
- عبد الجليل مرتاض " بوادر الحركة اللسانية عند العرب".
- محمد عبد المطلب "النحو بين عبد القاهر وتشومسكي".
- الصغير محمد بناني " النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب".
- عبد الرحمن الحاج صالح " المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية في العالم العربي".
- عاطف مذكور " علم اللغة بين التراث والمعاصرة".
- بوشتى العطار" علم اللغة عند ابن جني في ضوء منهج اللسانيات الحديثة".
- عبد الغفار حامد هلال " علم اللغة بين القديم والحديث".
- رمضان عبد التواب "التراث العربي ومناهج المحدثين في الدرس اللغوي".
- كريم زكي حسام الدين " أصول تراثية في علم اللغة".
- عبد القادر مرعي الخليل " المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر".
- حسام البهنساوي " أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث".
- محمود فهمي حجازي " علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ".
- صلاح الدين محمد قناوي " التفكير الصوتي عند العرب بين الأصالة والتحديث ".

- نور الدين محمد دنياجي " التفكير اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني ".
- محمد عبد العزيز عبد الدايم " المفاهيم النحوية بين الدرسين التراثي والغربي المعاصر ".
- رشيد العبيدي " الألسنية المعاصرة والعربية ".
- محمد المبارك " ملامح لغوية تحويلية عند العرب ".

فالمتأمل والمدقق لعناوين هذه الكتب يلحظ أنها تضع أعمال العرب والغربيين في كفتين بدافع المقارنة، أو تعمل على استخراج أفكار اللسانيين الغرب من خلال استقراء أعمال العرب للوصول إلى نتيجة معينة.

أما فيما يخص اللسانيات العربية أو التوفيقية فنجد مناصريها غير متعصبين لا للقديم ولا للجديد بل أخذوا رأيا وسطا إذ قالوا بأنه لا ينبغي الميل إلى اللغويات القديمة كل الميل ولا الاهتمام باللسانيات الغربية وإنما علينا الجمع بينهما للوصول إلى توصيف جديد للغة يمكننا من الارتقاء باللغة، وقد نجح في ذلك كل من أحمد المتوكل في مشروعه " نظرية النحو الوظيفي " والفاسي الفهري في " نماذج النظرية التوليدية التحويلية على اللغة العربية " ويهدف هذا الأخير إلى « وصف اللغة العربية الحالية وصفا كافيا يمكن من بناء نظرية اللغة العربية أو (نحو) يمثل الملكة الباطنية لمتكلم هذه اللغة ومستعملها »[12]، حيث اتبع كل من هذين اتجاه معين فالأول تأثر بالوظيفيين فقام بإعادة وصف اللغة من الجانب الوظيفي فأبدع في ذلك والثاني سلبته أفكار تشومسكي فبنى نموذجه تبعا لذلك المسار.

ومما لا شك فيه أن هذه الاتجاهات الثلاث برزت نتيجة خلفيات ومرجعيات أصحابها فمنهم من تولدت لديه أفكار وإبداعات لسانية جراء تصادمه بما دخل إلينا من الغرب فراح يؤلف ويبرز ما تركه من بقايا في ذهنه أثرت عليه فكان هدف هذه الفئة من

الكتابة تعليمي فقط. في حين نجد من لم تستهويه النظريات اللسانية الجديد ومناهجها فرأى في إعادة قراءة التراث فرصة للنهوض به وتحريره ورفع الجمود عنه فكانت بذلك « غايات لسانيات التراث وأهدافها قراءة التصورات اللغوية العربية القديمة و تأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث والتوفيق بين نتائج الفكر اللغوي القديم والنظريات اللسانية الحديثة، وبالتالي إخراجها في حلة جديدة تبين قيمتها التاريخية والحضارية »[13].

لكن رفع هذا الجمود عن الدراسات اللغوية عند البعض كان يستدعي استقطاب الجديد وضمه إليه ليصبح أكثر قوة. وما يمكننا قوله هو أن لكل مكانته بحيث نرى أن هناك حالات في اللغة لا يمكننا أن نطبق أو نسقط عليها ما هو غربي فهو لا يصلح إلا لتلك اللغة التي وضع لأجلها؛ فنحتفظ هنا بما توصل إليه لغويونا ونكتفي بإعادة قراءة التراث فقط ونقدم اللسانيات الغربية كما هي من أجل الإحاطة بما هو جديد وعدم البقاء في جهل، أما ما نجده يصلح من اللغة مع أفكار اللسانيين الغربيين فيمكننا إعادة إحياءه و تجديده بالمزج.

وفي الأخير ستجدون أسفل مخطط يشرح ما تطرقنا إليه أعلى.

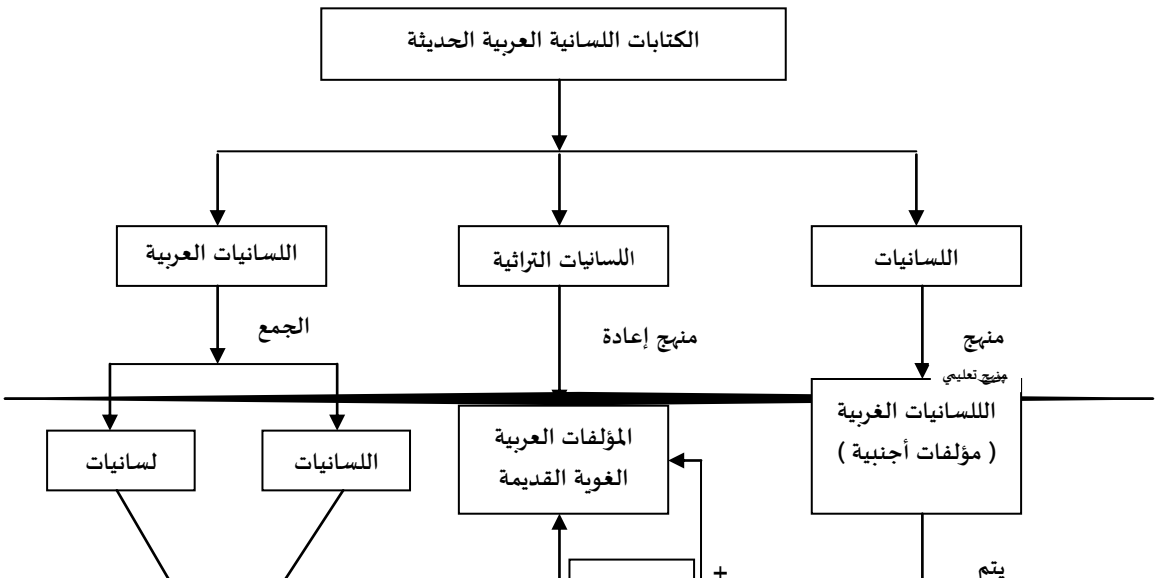

## قائمة الإحالات:


1- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي،ط3،، القاهرة 1997، ص7.

2- عبد الرحمن بودرع، الأساس المعرفي للغويات العربية، منشورات نادي الكتاب لكلية لأدب، ط1، تيطوان-المغرب 2000، ص88.

3- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ايتراك للنشر والتوزيع، ط1، مصر 2004، ص 5-6.

4- تمام حسان، مناهج البحث اللغوي، دار الثقافة، د.ط، الدار البيضاء-المغرب 1986، تقديم المؤلف.

5- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة- دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، سلسلة رسائل أطروحات، رقم 4، ص91.

6- ينظر: جورج مونان، مفاتيح الألسنية، ترجمة: الطيب البكوش، منشورات الجديد، د.ط، تونس 1981، ص6.

7- ينظر: مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص179.

8- المرجع نفسه، ص179.

9- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، د.ط، تونس 1981، ص26.

10- حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، القاهرة 1994، ص2.

11- حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت- لبنان 2009، ص 135-136.

12- الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء- المغرب 1985، ص32.

13- مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص09.